من وحي العمل السياسي

ثمة مقولة شعبية مؤدّاها ان حليمة قد عادتْ إلى عادتها القديمة، وان التاريخ يُعيد نفسه... عشنا ونعيش في دوّامة تنتابنا الشكلات نفسها ولو بأشكال مختلفة. انها حلقات مفرغة ومغلّقة تتوالى أسبابها وتأثيراتها في المجموع سوءاً ودماراً. وعندما تكون شؤون المال وشجونه في الميزان، يستحيل «الكبار» قبل «الصغار» اتباعاً لدينٍ واحد.

ان الأمة المرهَقة ترتضي أن تُخدَع وتضلل بكل سرور شريطة أن يُدّعوها وشأنها. فتظنّ ان كل ما كان بات في خبر كان وان ما سيكون لم يحصل بعد... هكذا تستكين الأمة قهراً لأول مُستبدّ طاغ أو مُستعمر يرمي إلى منفعة وفائدة.

لبنان اليوم - ولا سيما عاصمته - تراكمٌ مخيف من المبنى والهندسات الغريبة العجيبة وشبه المدمّرة في بعض الأحيان. نعمت العاصمة أساساً بأروع المناظر والمواقع. وكان في مقدور مسؤول ما أن يجعلها أجمل مدن العالم!

يختزل وطننا، ويا للأسف! على رقعة صغيرة وإنما متنوعة التناقضات والاختلافات التي تسود العلاقات بين الشرق والغرب.

انطلاقاً مما سبق، نرى ان اللبنانيين يقولون الشيء وعكسه، لأن منافعهم تختلف بين حين وآخر. ولكن ثمة وحدة بين قول الشيء وعكسه وهي الحفاظ على الأنا لأن الأنا - فردياً كان أم جماعياً - يتكوّن مما يأخذ الإنسان وليس قائماً في ذاته كجوهر وإنما هو قائم بأعراضه. أناه المرضي ليس منطلقاً لشيء، لأنه كثيراً ما يتجلى غير قائم في الله.

سلوكه ينبثق عموماً من انتمائه الطائفي، ولكن إيمانه ينطلق من مدى نفوذ طائفته وما إليها ومن مجدها الزمني أو ما تتوهّمه فيها من مجد. على ذلك «المؤمن» أقلّه أن يعلم ان المؤمن يجيء من الله ومن ضمير الإنسان الحي. والله يفوق كل الأزمنة وكل «عظمة» الطوائف في شقاء أوضاعها وتقلباتها. خطاب الإيمان يختلف عن خطاب الطوائف. هناك خطورة فصام تتربّص بكل لبناني بين ما هو لله وما هو لمكانة الجماعة في عصبية لها وطاقات وأحقاد. لذا، ينبغي أن نسعى جاهدين للتمييز بين المؤمن الكبير والمؤمن السطحي لأن كليهما ولا سيما السطحي يفيد من وضع طائفته. كل مواطن يأخذ بدرجات. ليس عند كثر منا إيمان لا ينفعنا، هو، في دنيانا الفانية!

أما السياسة، فهي شأن آخر أيضاً!

د. جهاد نعمان
أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه